دور أبو عبد الله البوحميدي الولهاصي في إدارة دولة الأمير عبد القادر

أ.د بلعـــربي خالـــــد –جامعة سيدي بلعباس

تحاول هذه الدراسة كشف النقاب عن شخصية أحد خلفاء الأمير عبد القادر الجزائري في منطقة تلمسان إبان الفترة الاستعمارية أي الإحتلال الفرنسي للجزائر لقد قام البوحميدي الولهاصي بدور كبير في إدارة دولة الأمير عبد القادر بإحكام و استطاع أن ينال ثقته و هذا البحث يحاول دراسة هذه الشخصية المهملة في الدراسات التاريخية الخاصة بتاريخ المقاومة الشعبية الجزائرية للإستعمار الفرنسي.

رغم تعدد الكتابات حول شخصية الأمير عبد القادر، وتنوع الدراسات حول المقاومة التي تزعمها ضد الإحتلال الفرنسي، إلا أن هناك عدة جوانب ظلت بعيدة عن الإهتمام، فلم تحظ بالقدر الكافي من المعالجة والبحث ، ومن هذه الجوانب الدور الذي قام به خلفاء الأمير عبد القادر في إدارة الدولة، ومنهم الخليفة أبو عبد الله البوحميدي ، فكل الدراسات التي أنجزت حول المقاومة الشعبية في الجزائر أحجمت عن التعرض لهذه الشخصية البارزة في إدارة دولة الأمير عبد القادر إذ لم تخصص له دراسة مستقلة وعميقة تكشف النقاب عن جوانب من شخصيته فكأن تاريخنا أصبح يقرأ قراءة فوقية تعمل على تغيير الآلية الحقيقية لسيرورته، لهذا سوف نحاول أن نتعرض في مستهل هذا البحث إلى الدور الذي قام به أبو عبد الله[1] البوحميدي في إدارة دولة الأمير عبد القادر معتمدين في ذالك على مجموعة من المراجع التي لها علاقة بموضوع البحث، وطبعا فإن هذه المداخلة بحكم تواضعها، لا تهدف إلى وضع نقطة النهاية على الموضوع، بقدر ما ستفتح أول صفحة من ملف خلفاء الأمير عبد القادر على أقاليم دولته، والباحثون والمؤرخون يدركون أن كل نتيجة بحث ما هي إلاّ إنطلاقة نحو بحث أخر.

يعتبر أبو عبد الله البوحميدي من الشخصيات البارزة التي تركت أثارها جلية في دولة الأمير عبد القادر بن محي الدين،كيف لا وهو الذي ظل مكافحا إلى جانبه في المقاومة التي خاضها من أجل تحرير بلاده من الإستعمار الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه الجزائر سنة 1830.

ينتمي البوحميدي إلى عائلة دينية من أهل العلم والدين ، ومتميزة بالثروة [2]، كان رجلا مثقفا، درس مع الأمير عبد القادر في الزاوية، والتي هي في إصطلاح رجال الصوفية محل تثقيف العقول دينيا وأدبيا [3] ، بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الإنتماء و إرتباطه الوثيق بالتاريخ العربي الإسلامي ، قد جعله فخورا بأصله وشرفه وهذه النخوة هي التي دفعته في الحقيقة إلى حمل السلاح والدفاع عن الوطن والأرض والعرض إلى جانب الأميرعبد القادر.

المنارة للاستشارات

ww

بعد مبايعة الأمير عبد القادر كقائد وزعيم الدولة الجزائرية في 3 رجب 1248هـ / 27 نوفمبر 1832م ، عيّن الأمير أبو عبد الله البوحميدي خليفة على تلمسان و هو منصب هام في الدولة4 ، حيث كان مسؤولا عن جميع المسائل التي تتعلق بالمحافظة على الأمن العام، والتجنيد، وجمع الزكاة، وتحصيل الضرائب، كما كان مسؤولا من جهة أخرى عن جميع واردات مقاطعته، فيخرج لجبايتها مرتين سنويا، الأولى في الربيع لتحصيل الزكاة، والثانية في الصيف فور الإنتهاء من مواسم الحصاد لتحصيل العشور5. كانت ترافقه في تأدية هذه المهمة قوة من الجيش النظامي، من المشاة، والخيالة وهذه القوة العسكرية كان الهدف منها حمل القبائل التي كانت تتردد في أداء ما عليها من الزكاة، والضرائب، والغرامات، على الدفع بالتي هي أحسن، وهذا ما يظهر لنا على الأقل أن الوازع الديني كان قويا عند البوحميدي6، وقد إستغل أبو عبد الله البوحميدي هذه الرحلات التي كان يقوم بها في داخل مقاطعته في تنظيم عجلة الإدارة المحلية التي يشرف عليها الأغوات، مثل الأغا محمد ولد الطامي في بني عامر، ومحمد بن ستاغوي في الغروسال 7، وقد كان البوحميدي من بين خلفاء الأمير الذي عمل على تشجيع التعليم في الزاويا حيث كان الشيوخ والفقهاء يتعلمون القرآن والعلوم الدينية اللغوية، لما للعلم من أهمية كبرى في القضاء على الجهل والخرفات، ثم كذلك إلى شخصيته التي كانت شخصية مثقفة، لهذا صدق الدكتور يحي بوعزيز حين قال "إن الأمير عبد القادر عرف كيف يختار أعوانه العلماء والفقهاء المفكرين ليعملوا معه ويشاركه في تسير شؤون الحرب، والسياسة، والإدارة، والتنظيم، و الإتصال، و الإستعلام..." 8

وبنفس الهمة التي أثبت فيها أبو عبد الله البوحميدي جدارته في تنظيم مقاطعته تلمسان، سعى قدر الإمكان للحفاظ عليها من محاولة القوات الفرنسة المحتلة التوغل فيها، وذلك وفقا الإمكانيات التي كانت متاحة له، متبعا في ذلك إستراتجية الأمير عبد القادر. فعندما حاول كلوزيل دخول تلمسان، خرج منها البوحميدي الولهاصي مع من تبعه من سكان الحضر حتى لا يقع في قبضة العدوى، وهي نفس الخطة التي اتبعها الأميرعندما أخلى معسكر قبل وصول كلوزيل إليها في 6 ديسمبر 1835 . 9

وعندما إنطلق بيجو من وهران بتاريخ24 جانفي 1842 بهدف ملاحقة أبو عبد الله البوحميدي، والقضاء على نفوذه، فإنه لم يتمكن من ذلك، رغم أن قوات البوحميدي كانت تفتقر إلى العدة والعتاد 10. وتظهر لنا شخصية البوحميدي كذلك خلال سنة 1845 حينما شارك مع الأمير عبد القادر في معركة سيدي ابراهيم الشهيرة بالغزوات، حيث إستطاع أن يبلوا فيها البلاء الحسن، إذ أن دخوله المعركة إلى صف الأمير، جعل الفرنسين يتوقفون عن الهجوم، ويعتمدون خطة دفاعية11 وهاهو أحد الضباط الفرنسيين الذين إشتركوا في معركة سيدي ابراهيم يصرح لضابط قوة الدرك الفرنسي " **دوجا** " بأن قوة الفرسان التي كانت تحوم حوله قبل المعركة، كانت تابعة للبوحميدي الولهاصي12، وعندما راجت إشاعات بأن القوات الفرنسية ستقوم بهجوم

المنارة للاستشارات
ww

على دائرة البوحميدي في أوائل نوفمبر 1845 لتخليص الأسرى الفرنسيين الذين أخذوا في معركة سيدي ابراهيم قام البوحميدي بنقل مقر الدائرة مسافة 10 كلم عن مكان تمركزها الأساسي ولم يعد إليها إلا بتاريخ 15 نوفمبر 1846 فور هدوء الأوضاع و زوالي خطر الهجوم الذي قاده " كافينياك "13 و في 19 فبراير 1846 قام البوحميدي بزيارة معسكر الأسرى برفقة كوكبة من الفرسان وتفقد أحوالهم، ووعدهم بأن يسهل مبادلتهم بالأسرى الجزائريين، ثم منحهم مبلغ 130 فرنك على سبيل المساعدة، وبعد ذلك استدعى البوحميدي الضابط كونورد أودا كونيور الناطق بإسم الأسرى، وأبلغه مناورات السلطات الفرنسية التي تعمل لحمل سلطان المغرب مولى عبد الرحمان على إجبار الأمير عبد القادر على تسليم الأسرى الفرنسيين، وذلك في الوقت الذي تستعد فيه هي لشن هجوم لتحريرهم بالقوة، وأضاف قائلا : **" إن فرنسا لن تنجح في هذه المحاولات "**، و إثر ذلك أذن له في الكتابة إلى الجنرال كافينياك ليحدثه عن وضع ترتيبات لتبادل الأسرى14.

و قد حاول البوحميدي الولهاصي كذلك إنقاد قبيلة بني عامر من بطش السلطان المغربي مولاي عبد الرحمان الذي حاول إبادة هذه القبيلة بعد إلتحاقها بمقاومة الأمير عبد القادر15 الذي قرر السير بنفسه لإستقبالها في مكان يقع بين فاس و تازا، هذا الأمر لم يعجب السلطان المغربي الذي وضع خطة لذلك بأن جند 1500 جندي ضد هذه القبائل تحت قيادة إبراهيم بن أحمد الأكحل، و عندما وصلت هذه الخطة مسامع الأمير عبد القادر حاول القيام بعمل دبلوماسي لدى السلطان المغربي لإنقاد أرواح سكان هذه القبائل حيث أرسل خليفة البوحميدي إلى السلطان المغربي ليطلب منه أن لا يقوم تنفيذ هذه المجزرة التي كان يدبرها ضد قبائل بني عامر الفارة من البطش الفرنسي لتحتمي بالسلطان المغربي. إلاّ أنّ هذا المسعى لم يحقق أي نتيجة بل و الأكثر من ذلك فإن السلطات المغربية ألقت القبض على البوحميدي الولهاصي و زجت به في السجن16 وصل البوحميدي إلى فاس يوم 28 نوفمبر 1846 و استقبله السلطان المغربي مولاي عبد الرحمن يوم 3 ديسمبر، و ما أن بدأت المحادثات بينهما حتى لفقت به تهمة قتل إحدى الشخصيات المغربية، فألقي عليه القبض وزج به في السجن حتى بقي إلى وفاته و قد ذكرت جريدة المبشر الناطقة بإسم الإدارة الفرنسية بالجزائر أن الخليفة البوحميدي بعد ما إلتقى بالسلطان المغربي عاد إلى الأمير عبد القادر بجواب منه، إلاّ أن الأمير استنكر الشروط التي وضعها مولاي عبد الرحمن، فلم يرد عليها، بل و أمر أنصاره بالإستعداد للحرب، غير أن جريدة المبشر لم تذكر لنا محتويات تلك الشروط، أما عن نهاية الخليفة البوحميدي فإنها تقول أنه بعد إستسلام الحاج عبد القادر هاجر البوحميدي إلى فاس و مكث فيها إلى غاية وفاته في أواخر شهر ماي 1850 17، غير أن أبو القاسم سعد الله يرى بأن البوحميدي الولهاصي لما إستقبله السلطان المغربي سجنه، ثم أجبره على إبتلاع السم إذ مات في سجنه بالمغرب في نهاية 1847. 18

المنارة للاستشارات
ww

و في الختام يمكن القول ان أبو عبد الله البوحميدي كان له دور كبير في دولة الأمير عبد القادر، و ما على الدارسين إلاّ المزيد من تسليط على شخصية الرجل الذي يحق للجزائر أن تفتخر به ما دام أنه واحد من صانع تاريخها.

الهوامش :

1- الناصري أحمد بن خالد السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا ج3 ، المطبعة البهية المصرية 1304 هـ ، ص 199.
2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1992، ص 212.
3- فؤاد صالح السيّد، الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا و شاعرا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 28.
4- أوصديق فوزي، النظام الدستوري الجزائري، دولة الأمير عبد القادر – دراسة تحليلية مقارنة – ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2003، ص 63.
5- أديب حرب، التاريخ العسكري و الإداري للأمير عبد القادر الجزائري ج2 ، دار الرائد للكتاب، الجزائر الطبعة 2004، ص 58.
6- اسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط2 1982 ، ص 217.
7- أديب حرب، المرجع السابق، ص 86.

8- يحي بوعزيز، علاقات الأمير عبد القادر و خلفائه بالمملكة التونسية، مجلة مسالك، العدد 2، جوان – جويلية 1998.
9- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 176.
10- أديب حرب، المرجع السابق، ج2 ، ص 414.
11- نفسه، ص 260.
12- إسماعيل العربي، المرجع السابقن ص 254.
13-AZAN (P), L'émir Abdelkader, du Fanatisme Musulman au patriotisme, Français. Paris 1929, P.222.
14- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 299.
15- إبراهيم لونيسي، محاولة الأمير عبد القادر إنقاد قبائل عامر من بطش السلطان المغربي لسنتي 1846 – 1847. ضمن كتاب تاريخ مدينة سيدي بلعباس خلال الفترة الإستعمارية (1830 – 1862) ج2 منشورات مكتبة الرشاد للطباعة و النشر و التوزيع – الجزائر 2005، ص 30.
16- شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1974، ص 239 – 240.

17- جريدة المبشر 15 جانفي 1848 و 15 جوان 1850.

18- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 273، أنظر كذلك.

Mohamed Cherif Sahli, L'émir Abdelkader et le Maroc 1832 – 1847 in Revue « Massalik » n° 2, Juillet 1998.

المنارة للاستشارات

ww

المنارة للاستشارات

ww